مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

DOI: 10.54240/2318-013-002-022

# الممارسة الدينية والطقوس الاحتفالية للأسرى المسيحيين بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية (1519-1830م)

# The religious practices and the celebration rituals of the Christian prisoners in the city of Algiers during the Ottoman era (1519-1830)

اسم ولقب المؤلف المرسل: زينب إخلف- Zineb Ikhlef صص421- 447
الدرجة والعنوان المهني: طالبة دكتوراه- جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله- الجزائر.
البريد الإلكتروني: zineb.ikhlef@univ-alger2.dz

تاريخ استقبال المقال: 2023/06/30.. تاريخ المراجعة: 2023/07/10.. تاريخ القبول: 2023/10/26

**الملخص:** شكل الأسرى الأوروبيون جزءً من التركيبة السكانية لمجتمع مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، ولعبوا دورا هاما في الجانب الاقتصادي كما أشارت أغلب الدراسات التاريخية التي تناولت موضوع الأسرى، غير أن تواجدهم في مدينة الجزائر تعدى الجانب الاقتصادي بل كان لهم تفاعل اجتماعي عبر تكييف أوضاعهم الاجتماعية من خلال الحصول على بعض الحريات كالتنقل والترفيه، وكذا إنشاء بعض المؤسسات الخاصة بهم كالمستشفيات والكنائس لتلبية احتياجاتهم الروحية، وفي هذا السياق، تمتع هؤلاء الأسرى بالحرية الدينية وممارسة معتقداتهم والاحتفال بأعيادهم داخل الكنائس دون المساس بالدين الإسلامي، كمظهر من مظاهر التسامح الديني في المجتمع الجزائري في تلك الفترة، على عكس ما صورته كتابات الأسرى ورجال الدين الذين عملوا على نقل صورة مروعة عن معاناة الأسرى وسوء معاملتهم من طرف المسلمين، فمن خلال هذا العمل سنتعرف على الممارسة الدينية للأسرى، وأهم أعيادهم واحتفالاتهم الدينية، وكيفية ممارسة طقوسها.

**الكلمات المفتاحية:** الأسرى المسيحيين، الممارسة الدينية، الإحتفالات، الطقوس الدينية، العهد العثماني، مدينة الجزائر، الكنائس، الأعياد المسيحية، الحرية الدينية.

**Abstract:** The European prisoners were part of the social fabric in the city of Algiers during the Ottoman era and played an important role in the economic side as proved by most of the historical studies that tackled the topic of prisoners. Nevertheless, their existence in the city of Algiers exceeded the economic side to the social interaction through adjusting their social conditions by getting some liberties such as

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

transportation, and leisure. Besides, they built hospitals and churches were they satisfied their spiritual needs. In this line, these Christian prisoners enjoyed the religious freedom, practiced their beliefs, and celebrated their feasts inside the churches without touching Islam. This was an aspect of the religious tolerance in the Algerian society in that era, contrary to what is said in the writings of the prisoners and the religious men who sent a bad image about the sufferance of the prisoners and their mistreatment by the Muslims. Therefore, this study shall focus on the religious practices of the prisoners and shall tackle their religious feasts and how they practiced their rituals.

**Keywords:** Christian prisoners; religious practice; celebrations; religious rituals; Ottoman era; the city of Algiers; churches; religious freedom.

**مقدمة**: إن عملية الأسر والعبودية لها جذور تاريخية ضاربة في القدم، كانت مرتبطة بالوضع العام في حوض البحر الأبيض المتوسط، والصراع القائم فيه بين العالم الإسلامي والمسيحي مما نتج عنه وجود ظاهرة الأسر بين الطرفين، لتتجلى هذه الظاهرة بشكل واضح خلال القرن السادس عشر، بحيث كانت الجزائر طرفا فاعلا فيها مما نتج عنه تواجد فئة الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر، والذين مثلوا نتيجة حتمية للنشاط البحري الذي كانت تمارسه الجزائر آنذاك، فشكلوا موردا اقتصاديا هاما لخزينة الدولة.

ونظرا لذلك اهتمت الدارسات التاريخية بشكل مباشر على دراسة أوضاع الأسرى من الناحية الاقتصادية خاصة، لكونهم ساهموا فيها من خلال الإيرادات المالية الكبيرة التي كانت تدخل خزينة الدولة من مبالغ الفدية المخصصة لافتدائهم، ومن خلال تكليفهم القيام ببعض الأعمال التي تصب في المصلحة العامة.

أما في الجانب الاجتماعي فقد أشارت بعض الدراسات إلى الحياة الاجتماعية للأسرى داخل السجون، وذلك من خلال عرض أماكن إقامتهم وظروفهم المعيشية والصحية، أما تلك المتعلقة بالجانب الديني فهي قليلة جدا، وإن وجدت فتكتفي بالإشارة إليه دون الخوض في تفاصيله، لذلك سنركز في هذا المقال على دراسة الجانب الديني لهؤلاء الأسرى في وسط مجتمع مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، أي محاولة إبراز الممارسات الدينية المسيحية داخل السجون وطريقة تفاعل الأسرى معها، خاصة إذا ما علمنا أنهم تمتعوا بالحرية الدينية والسماح لهم بممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية بحرية تامة.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

للخوض في صلب هذا الموضوع لابد من الإجابة على الإشكالية التالية: كيف كانت الممارسة الدينية للأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية؟ وماهي أهم الأعياد والمناسبات الدينية التي تمتعوا بحرية ممارستها؟ وكيف كان يتم الاحتفال بها؟ وماهي أهم الطقوس الدينية المتبعة خلال هذه الاحتفالات؟

**1- 1- الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر:** عرفت مدينة الجزائر تنوعا في التركيبة السكانية ومن بينها الأسرى المسيحيين، الذين مهما تفاوتت أعدادهم، واختلفت أصولهم[1] كانوا يدرجون ضمن قائمة الغنائم الحربية، التي خلفتها الغارات البحرية للأسطول الجزائري، الذي كان يقوم في أغلب غاراته على سواحل شمال الحوض الغربي للمتوسط بجلب العديد من الأسرى[2]، ونظرا لهاته الغارات والمعارك تواجد في مدينة الجزائر عددا من الأسرى المسيحيين، الذين بمجرد وصولهم إلى ميناء الجزائر يقتادون مباشرة إلى سوق العبيد أو البادستان الخاص بتجارة العبيد والأسرى[3]، وفي هذا الصدد نجد البعض من الأسرى الذين قاموا بوصف طريقة بيعهم في هذا السوق من خلال عرض تجربتهم في كتاباتهم التي تصف حياتهم كأسرى[4].

---

1 - للتوسع حول أصول الأسرى وأعدادهم أنظر:

- Abla Gheziel-« **Captifs et captivité dans la régence d'Alger (xviie- début xixe siècle)** »- Cahiers de la Méditerranée- N 87 – 2013- pp.78-80.

2 - قام الأسطول الجزائري في عهد خير الدين بربروس في إحدى غاراته على سواحل إسبانيا بأسر حوالي ثلاثة آلاف أسير، بينما أسر حسن باشا بن خير الدين بربروس خلال معركته ضد الإسبان في مستغانم سنة 1558م حوالي إحدى عشر ألف أسير. أنظر: -مجهول- مذكرات خير الدين بربروس- ترجمة محمد دراج- شركة الأصالة- الجزائر- ط1- 2010 - ص 152.

-Fray Diego de Haedo- Topographie et histoire générale d'Alger- traduit de l'espagnol par dr. Monnereau et a Berbrugger présentation de Jocelyne dakhlia-IMPRIMÉ À VALLADOLID EN 1612- Alger- 1870- p.205.

3 -Pierre Dan- Histoire de Barbarie et de ses Corsaires- des royaumes et des villes d'Alger- de Tunis- de Salé- & de Tripoly- chez pierre Rocolet- Paris- 1637- p.377.

4 - قد وصف بعض الأسرى تجربتهم كأسرى تم عرضهم وبيعهم في سوق البادستان ومن بينهم الأسير والطبيب الأمريكي "أندرهيل" الذي وصف طريقة بيع في السوق، كذلك نجد الأسير الإنجليزي "ويليام أوكلاي "الذي وصف طريقة بيع الأسرى المسيحيين في البادستان. أنظر:

- Underhill updike- the Algerine captive or the life and adventures of doctor updithe Underhill, six years aprisoner among the Algerians- Harford printed by peter B. Gleason.co- 1816- pp. 117-118.

- William okeley- Eben- Ezer or a small monument of great Mercy appearing in the miraculous deliverance of william okeley- printed for Nat- ponder- London- 1675- pp. 9-11.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

قبل عرض الأسرى للبيع يتم تصنيفهم واختيارهم حسب مكانتهم الاجتماعة وخبراتهم ومهنهم، ومن ثم يحدد سعرهم حسب مميزاتهم ليتم بعدها عرضهم للبيع في هذا السوق[1]، تم تقسيم هؤلاء الأسرى إلى قسمين قسم ملك للدولة والقسم الآخر هم الأسرى الخواص[2]، غير أنه يمكننا تقسيمهم إلى ثلاثة مجموعات الأولى تتمثل في أسرى الداي الذين يكونون تحت خدمته في القصر ويختارهم فور وصولهم إلى مدينة الجزائر[3]، ومن أمثالهم نجد لا للحصر الأسير والقنصل الأمريكي كاثكارث [4]، الذي شغل في قصر الداي كعامل في الحديقة [5].

أما القسم الثاني هم أسرى البايلك أولئك يكونون تابعين للدولة يقيمون في سجون تابعة لها، ويشكلون ربحا ماديا كبيرا نتيجة تحريرهم مقابل دفع مبلغ الفدية[6]، أما القسم الثالث هم الأسرى الخواص الذين يتم شرائهم من سوق البادستان إما لخدمة مالكيهم أو لتحريرهم مقابل دفع الفدية [7]، غير أن الذين يشترون من طرف الأعيان ورجال الدولة لديهم الحظ في

1 -Laugier De Tassy-Histoire du Royaume d'Alger- Chez Henridu Sauzet- A Amsterdam- 1725- pp.274 - 275.

2 - قامت بعض المصادر الأجنبية بتقسيم الأسرى إلى قسمين ومن بينهم لا للحصر نجد: الأب الفرنسي فرنسوا كوملين**François Comelin** الذي قسم الأسرى المسيحيين في الجزائر إلى قسمين أسرى البايلك وأسرى الخواص، وهو نفس ما أشار إليه الطبيب شاو**Shaw** الذي صنفهم إلى صنفين الصنف الأول هم أسرى البايلك أو الدولة وهم أقل شقاء مقارنة بالصنف الثاني وهم أسرى الخواص بالأفراد والعائلات وهم أكثر شقاء من غيرهم. أنظر

-François Comelin- voyage pour la rédemption des captifs aux royaumes d'Alger et de Tunis- Louis Anne Sevestre- Paris-1721 - p.49.

-Thomas Shaw -Voyage dans la régence d'Alger- ou Description géographique- physique- philologique- etc. de cet état- Traduit de l'anglais par Mac Carthy- CHEZ MARLLN- Paris- 1830- pp. 201-202.

3 - أنظر: .De Tassy- op.cit.- pp. 272- 274-

4 - جيمس لاندر كاثكارت نسبة لمدينة كاثكارت التي تقع في ولاية رانفيو في اسكوتلادة بريطانيا، ولد في نفس البلدة سنة 1767م وقد حضر إلى أمريكا في سن مبكرة، وكان في كفالة أحد القباطنة في أمريكا بحيث جال البحار والمحيطات، ثم تعرض للأسر من طرف الأسطول الجزائري سنة 1785م. أنظر: - جيمس لاندر كاثكارت- مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب- ترجمة: اسماعيل العربي- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1982-ص ص 12- 17.

5 - نفسه- ص ص 22- 23.

6 - حول موضوع فداء الأسرى أنظر:

- André Berbrugger-« **vois et moyens du rachat des captifs chrétiens dans les états Barbaresques** »- Revue Africaine- N 11-1867-pp 325-332.

- Comelin-op.cit.-p.49., - Shaw- op.cit.-pp.201-202.7

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

تولي أهم المناصب، ومن بين هؤلاء نجد الأسير والطبيب الألماني سيمون بفايفر[1] الذي شغل طاهيا في قصر الخزناجي ثم أصبح طبيبه الخاص[2].

أما فيما يخص الأعمال التي يقومون بها هناك أسرى لا يكلفون بالأعمال الشاقة بل يحظون بمعاملة خاصة نتيجة مكانتهم الاجتماعية مثل رجال الدين والأطباء الذين يكونون موضع تقدير كبير مقارنة بالأخرين[3]، أما أسرى البايلك يكلفون بمختلف الأعمال التي تتكون أساسا من هدم الجدران وقطع الصخور، أو العمل كمجدفين في السفن، وغيرها من الأعمال[4].

كما سمح لبعض الأسرى بإنشاء أعمال تجارية خاصة بهم ومن بينها إنشاء الحانات داخل السجون[5]، مما مكنهم من تحرير أنفسهم من خلال ادخار المبالغ المتحصل عليها خلال أداء تلك الأعمال[6].

---

1 - سيمون بفايفر هو أسير ألماني ولد في منطقة راينهيسن في سنة 1810م، درس فن الجراحة في سن مبكرة جدا كما دخل مدرسة عسكرية، تعرض للأسر في عرض لبحر من طرف بحارة جزائريين وأحضر للجزائر ليصبح طاهيا في قصر الخزناجي ثم ليصبح الطبيب الخاص للخزناجي، ثم خزندار لباي التيطيري ليطلق سراحه بعد الإحتلال الفرنسي ويعود لوطنه. أنظر: سيمون بفايفر- مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر-تقديم وتعريب أبو العيد دودو-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1974- ص ص 4-6.

2 - نفسه- ص 6.

3 - لقد ذكر الرحالة الألماني هابنسترايت خلال زيارته للجزائر خلال القرن 18م- أن الجزائريين يقدرون كل من هو معالج أو طبيب يحظى بتقدير وإحترام كبير في الجزائر. أنظر: - هابنسترايت ج.أو,- رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ/1732م- ترجمة وتقديم ناصر الدين سعيدوني-دار الغرب الإسلامي- تونس- د.ت.- ص 56.

4 - للتوسع حول موضوع الأعمال التي كان يكلف بها الأسرى خلال فترة أسرهم أنظر:Comelin -- op.cit.- p.51.

- بوعلام صفاح- **" الحياة اليومية للأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثما ني"**- مجلة الونشريس للدراسات التاريخية- مج2-ع1- 2022- ص ص 319-320.

-Ellen G. Friedman- «**Christian Captives at "Hard Labor" in Algiers- 16th-18th Centuries"**- The International Journal of African Historical Studies- Vol. 13- No. 4- 1980- pp.619- 624.

-بوعلام صفاح- " **الأوضاع الاجتماعية والدينية للأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني"**- مجلة الابراهيمي للعلوم الاجتماعية والانسانية- ع11- ديسمبر 2022-ص ص 132- 133.

5 -لقد سمح لبعض الأسرى بإنشاء أعمال تجارية خاصة بهم ومن بينها إنشاء الحانات داخل سجون الأسرى، أو العمل فيها مقابل دفع نسبة من الأرباح لأسيادهم، فقد ذكر لنا دارندا**d'Aranda** خلال تواجده في سجن علي بتشين أن في هذا السجن حانة يقوم عليها عددا من الأسرى المسيحيين. أنظر:

-Emmanuel d'Aranda - Relation de la captivité & liberté du sieur Emanuel de Aranda-Chez Jean Momart - A BRUXELLES – 1662- pp.18, 19.

6- Henri Delmas de Grammont- **« études Algériennes.la course-L' esclavage et la rédemption a Alger. deuxième partie : L'esclavage »**- Revue Historique- Published By: Presses Universitaires de France--T. 26- 1884- pp.14-15.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

أما بخصوص أعدادهم فقد اختلفت المصادر في تحديدها بشكل دقيق[1]، لذلك نجد تضاربا في تقديرها فمثلا يشير هايدو(**HAËDO** ) إلى أن أعدادهم في النصف الثاني من القرن السادس عشر ما بين خمسمائة وألفين أسير والذين يتواجدون فقط في السجن الكبير، بينما كان يحتوي سجن الباستارد حوالي خمسمائة أسير[2]، أما الأب دان(**Dan** )في النصف الأول من القرن السابع عشر قدرهم بحوالي 25 ألف أسير في مدينة الجزائر فقط،[3] في حين أشار الأسير الإنجليزي فرانسيس نايت(**Francis Knight**) إلى أن عددهم وصل إلى 60 ألف [4]، وهو عدد مبالغ فيه نوعا ما بالنسبة لمدينة الجزائر فقط، بينما ذكر فونتور دي بارادي( **Venture de Paradis**) في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أن عدد الأسرى كان حوالي ألفين أسير، غير أنه انخفض إلى حوالي خمسمائة أسير نتيجة موجة الطاعون التي ضربت المدينة[5]. رغم اختلاف هذه التقديرات إلا أنه وجب أخذها بحذر شديد، فالبعض منها مبالغ فيه والبعض الآخر متناقض لما هو موجود على أرض الواقع.

**2- أماكن تواجدهم-السجون:** تواجد الأسرى الأوروبيون في عدد من السجون المخصصة لإقامتهم، والتي أطلق عليها اسم بانيو"Bagne"[6] هذه السجون اختلف تقدير أعدادها من مصدر إلى آخر، فمثلا حددها هايدو خلال القرن 10هـ/16م بسجنين هما السجن الكبير أو سجن الملك، وسجن الباستار(la Bastarde)[7]، في حين قدرها الأسير البرتغالي ماسكاريناس(Mascarenhas) في النصف الأول من القرن 11هـ/17م بأربعة سجون[8]، أما الأب

1 - للإطلاع على تطور أعداد الأسرى في مدينة الجزائر. أنظر:

-Federico Cresti- "**la population d'Alger et son evolution Durant l'époque ottomane** »- Arabica- N1- 2005- pp 478- 480.

2 - HAËDO- op.cit.- p.204.

3 - Dan -op.cit.- p.284.

4 -Francis Knight- A relation of seaven yeares slaverie under the Turkes of Argeire-Printed by T. Cotes-London-1640-p.52.- http://name.umdl.umich.edu/A04907.0001.001

5 -Venture de Paradis- Alger au XVIIIe siècle- édité par E. Fagnan- TYPOGRAPHIE ADOLPHE JOURDAN- Alger- 1898- p.52.

6 - أطلق على السجون إسم بانيو « **Bagne** » بمعنى الحمام بحيث كان الأسرى في البداية يسجنون داخل الحمامات ليلا وفي النهار يذهبون لتأدية مهامهم، وبعد تزايد أعددهم أقيمت سجون خاصة بهم. حول الموضوع أنظر:- نادية مباركي- " **سجون مغلقة أم فضاءات مفتوحة على التسامح الديني**"- مجلة الحكمة للدراسات التاريخية- ع4- 2014- ص 77.

7 - Haedo- op.cit.- pp.203, 204.

8 - João de Mascarenhas- Esclave à Alger: récit de captivité de João Mascarenhas (1621-1626)- traduite du Portugais par Paul Teyssier- chandeigne- Paris-1999- p.71.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

دان الذي جاء بعده فحددها بستة سجون وتعتبر الأهم على حسب ذكره وهي: سجن الملك، سجن الكراغلة، سجن سيدي حسن، سجن سانت كاثرين، وسجن آخر غير مفهوم اسمه أطلق عليه اسم " RAPAGOY "[1]، وربما كان يقصد به سجن علي العرباجي،[2] إلا أنه اختلط عليه الاسم.

بينما قدرها الأب دابر(DAPPER) بستة سجون[3]، أما الطبيب الألماني شاو(Shaw) حددها بخمسة سجون في القرن 12هـ/18م[4]، في حين قدرها فونتور دي بارادي خلال القرن 12هـ/18م بثلاثة سجون لا غير[5]، ويمكن تفسير هذا الاختلاف في تحديد عدد السجون من فترة لأخرى نتيجة لتغير عدد الأسرى الموجودين، وانخفاض أعدادهم من فترة لأخرى مما أدى إلى إغلاق بعض السجون.

يمكن تقسيم سجون الأسرى إلى نوعين سجون تابعة للبايلك أو الدولة، وسجون تابعة للخواص، ولا يسعنا هنا عرضها بشكل مفصل إلا أننا نشير إلى أهمها: وأولها السجن الكبير (Grand Bagne) أو سجن الملك وهو أقدم سجن وأول سجن تم بناءه في النصف الأول من القرن السادس عشر في عهد خير الدين بربروس، ويضم عددا كبيرا من الأسرى بقدرة استيعاب تصل إلى ألفي أسير دفعة واحدة، لذلك يعد من أهم وأكبر السجون[6].

كان هذا السجن مخصص للأسرى المهمين الذين يعودون للدولة بعوائد مالية ضخمة من أموال الفداء، أغلبهم من رجال الدين ومن بينهم الأب برنارد دو مونروي[7]( Bernard de

---

1- Dan- op.cit.- p.406.

2 - كان هذا السجن موجودا خلال القرن السابع عشر، فبحسب الباحث بن منصور أن هذا السجن كان موجود في فترة تواجد الأب غراماي في الجزائر، وربما صعب على الأب دان تحديد إسمه بدقة. أنظر:

- Jean-Baptiste Gramaye- journal de Jean-Baptiste Gramaye évêque d'Afrique- Traduit et commenté par: Abd El Hadi Ben Mansour r dans « Alger 16-17 siècle »- les éditions du cerf- paris- 1998- p. 155.

3- DAPPER Olfert -Description de l'Afrique- Wolfgang -Amsterdam -1686- p.170.

4- Shaw- op.cit.- p.294.

5- Paradis- op.cit.- p.50.

6- Haedo- op.cit.- pp.203, 204.

7 - الأب برنارد دو مونروي الأب برنارد دي مونروي « P. Don Bernard Monroy » كان أحد الرهبان الثالوثيين الذين كلفوا بمهمة إفتداء الأسرى من الجزائر سنة 1609م، ذهب للجزائر برفقة الأب "أكيلا" « P. Aquila » " « P. Palacio »و" بلاسيو " إلا أنهم وقعوا في الأسر في يد الجزائريين وبقوا في السجن لمدة ثلاثة سنوات إلى غاية 1612م. للمزيد أنظر:

-Dan- op.cit.-pp.501-504., -

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

Monroy) الذي أسر سنة 1612م، والأب غراماي[1] (Gramaye) الذي أسر في سنة 1619م، واللذان صورا لنا تجربتهما داخل السجن والحياة اليومية التي كانا يعيشانها[2].

أما السجن الثاني فهو سجن الباستارد(la Bastarde) والذي يعد ثاني سجن تم إنشاءه للأسرى خلال القرن السادس عشر في عهد حسن بن خير الدين بربروس، وكان يطلق على الأسرى الذين يقيمون فيه اسم "عبيد المخزن" أي أسرى البايلك[3]، غير أن هذا السجن تعددت تسمياته عبر القرون، وربما ذلك راجع لإعادة تهيئته وتوسيعه عبر السنين، مما أدى إلى إطلاق تسميات جديدة عليه، فمثلا أطلق عليه الأب أوفري(D′ Auvry) خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر اسم "سجن الديوان"[4]، وهو بذلك يفند نظرية بعض الباحثين الذين اعتبروا أن "سجن الديوان" سجن قائم بحد ذاته خاص بالجيش الإنكشاري[5].

كما سمي باسم "سجن المجذفين"[6] نسبة لنوع الأسرى الذين يقيمون فيه، وسمي كذلك "بسجن الجاليرا"[7]، كما أطلق عليه أيضا اسم "سجن الأسود" لكون أن الداي كان يحتفظ في

---

-Ellen Friedman - « **the exercise of religion by spanish captives in north Africa**"- in Sixteenth Century Journal,-vol.6- N0 1- Apr.- 1975-p.26.

1 - الأب غراماي Gramaye ولد في أنتويرب عام 1579م من أصول هولندية، كان مؤرخًا ودبلوماسيًا وجغرافيًا، تحصل على ماجيستر في الآداب والفلسفة وكذا في القانون، وتولى منصب أستاذ جامعي في جامعة لوفين، كلفه بابا روما بمهة التفاوض مع العديد من الجهات، تعرض خلالها للأسر في سنة 1619م. أنظر:

- Abd El Hadi Ben Mansour- « **L'heureuse «captivité » d'un protonotaire apostolique, Jean-Baptiste Gramaye à Alger (1619)** »- Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France- N1- 1995- pp. 56-60.

2 -Dan- op.cit.-pp.501-504., - Gramaye- op.cit., pp.319-329 .

3 - Haedo- op.cit.- p. 204.

4 - D'Auvry- Le Miroir de la Charité chrétienne-Ouvrage composé par l'un des Pères Rédempteurs du l'Ordre de Nôtre Dame de la Mercy- AIX- 1663- p.85.

5 - نجد الباحث بلقاسم قرباش خلال دراسته حول سجون الأسرى في مدينة الجزائر اختلط عليه الأمر فيما يتعلق بأسامي بعض السجون الخاصة بالأسرى- بحيث أن بعض الجون تحمل أكثر من إسم إلا أنه إعتبرها سجونا قائمة بذاتها- ومثال ذلك سجن الديوان الذي هو نفسه سجن الباستارد وسجن الجاليرا وسجن الأسود فيما بعد- إلا أنه إعتبر كل إسم منها سجن خاص- وصنف سجن الديوان على أنه سجن خاص بالجنود من الجيش الإنكشاري الذين يرتكبون المخالفات- غير أن المصادر اعتبرته سجن خاص بالأسرى المسيحيين. أنظر:- بلقاسم قرباش- **"بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م"**- مجلة دراسات تاريخية- ع 1- 2013- ص 132.

6 - كاثكارت- المصدر السابق- ص 59.

7 - يشير كاثكارت أنه في سنة 1750كانت هناك تحمل أفراد من نابولي لجؤوا إلى الجزائر فأصبحوا أول أسرى يقيمون بعد إعادة بنائه- واستمد إسمه بعد ذلك من إسم نوع السفينتين والذي هو" الجاليرا"- بينما نجد فونتور دي بارادي قدم لنا رواية أخرى تختلف عن ما ذكره كاثكارت- فقد ذكر أن بعض الأسرى الجزائريين استدرجوا بعض العبيد من طاقم سفينتين من نابولي وأقنعوهم بإيصالهم إلى ميناء الجزائر مع إمكانية تحررهم

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

جزء من هذا المبنى بالأسود والنمور[1]، على عكس ما أشارت إليه بعض الدراسات على أنه سجن قائم بحد ذاته[2].

أما السجن الثالث فهو سجن "سانت كاثرين"(Sainte-Catherine)، وهو أحد السجون الذي ذكره الأب دان خلال القرن السابع عشر[3]، غير أن المعلومات حول هذا السجن شبه منعدمة بحيث لا يوجد وصف له لا من ناحية موقعه أو حجمه أو قدرة استيعابه، غير أن غراماي أشار إلى أن هذا السجن يدعى أيضا باسم "سجن السيد" (de la Patronne)، وفيه تقع كنيسة سانت كاثرين[4]، كما أنه لا توجد إشارة إذا ما كان من سجون البايلك أم لا.

أما بالنسبة لسجون الخواص من أشهرها سجن علي بتشين[5] الذي أصبح يتسع لحوالي 550 أسيرا بعد توسيعه بحسب ما ذكره الأسير الإسباني إيمانوال دارندا(D'Aranda)، والذي كان أحد الأسرى المقيمين فيه خلال القرن السابع عشر، كما قدم لنا وصفا دقيقا لهذا السجن وطريقة تسييره ومعاملة الأسرى داخله[6]، إضافة إليه وجد عددا من السجون الخاصة والصغيرة التي كانت موجودة خلال أوائل القرن السابع عشر، ومن بينها سجن سليمان رايس، وسجن علي العرباجي، وسجن حسن البرتغالي[7]، وغيرها من السجون الخاصة.

---

هناك- وبمجرد وصول السفينتين تم أسر كل من هو مسيحي وتحرير كل مسلم- فعمل أباء الإفتداء على تحرير بعض ضباط السفينتين. أنظر: - كاثكارت- المصدر السابق- ص. 60.

- Venture de Paradis- op.cit.- p.51.

1 - كاثكارت- المصدر السابق- ص 60.

- Henri Klein- « **Bagnes Chrétiens** »- Les Feuillets d'El-Djezaïr- volume 3- 1912-p.45.

2 - وربما ذلك لتداخل المعلومات وكثرة أسماء السجون وإختلاف تسمياتها عبر السنين، غير أن كاثكارت أكد على أن سجن الجاليرا هو نفسه سجن الأسود وإكتسب هذه التسمية نتيجة وضع الأسود في جزء منه، التي كانت تسهر على رعايتها الأسرى المقيمين في هذا السجن. أنظر: رفيق تلي- **"السجون في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"**- المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية- م 8- ع 3- ديسمبر 2022- ص 87.
- سعيود إبراهيم- **"جهود الكنيسة البابوية في تحرير الأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال العهد العثماني (مقاربة تاريخية)"**- مجلة الدراسات التاريخية- م 17- ع1- 2016- ص159. (155- 174)

3 - Dan -op.cit.- p.406.

4 - Gramaye- op.cit.- p.425.

5 - وعلى الأرجح أن هذا السجن تم تغيير إسمه بعد أن قام إبن علي بتشين وهو أحمد شلبي بالحصول على هذا السجن الذي أخذ إسمه فيما بعد، ذكر بن منصور خلال حديثه عن السجون أن سجن أحمد شلبي هو نفسه سجن علي بتشين- وتغير الإسم بعد أن تحصل أحمد شلبي على سجن أبيه أنظر: - Gramaye- op.cit.- p. 158 .

6 - لتفاصيل أكثر عن السجن أنظر: - D'Aranda- op.cit.- p.p.18-20.

7 - Gramaye- op.cit.- p. 155.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

غير أنه يوجد سجن قد اختلط علينا الأمر في تصنيفه مع سجون البايلك أم مع سجون الخواص، وهو سجن "سيدي حمودة" الذي اعتبرته بعض مصادر القرن 18م على أنه من أهم السجون، وصنفته الثالث بعد سجن الملك وسجن الباستارد، فقد أشار إليه الأسير الأمريكي كاثكارت على أنه أصغر من السجون السابقة وغير منتظم[1]، أما فونتور دي بارادي فقد صنفه على أنه الثاني بعد سجن الملك، وسمي نسبة للوالي الصالح سيدي حمودة الذي دفن بالقرب منه[2]، إلا أنه لا توجد إشارة إذا ما كان سجن عام أم خاص، فهل يمكن اعتباره سجنا تابعا للدولة مادام أن كلا من كاثكارت ودي بارادي قد صنفوه مع سجون البايلك، ومن أهم السجون؟ وما يدعم هذه الفكرة ما ذكره الأب كوملين خلال النصف الأول من القرن 18م أثناء حديثه عن أسرى البايلك؛ فقد أشار أنهم يقيمون في ثلاثة سجون تابعة للبايلك[3]، فهل تم إنشاؤه نظرا لوجود فائض في عدد الأسرى؟

3- **الممارسة الدينية للأسرى:** قامت أغلب المصادر الأجنبية بنقل صورة مأساوية عن وضع الأسرى في مدينة الجزائر، وتعرضهم لمعاملة سيئة من طرف مالكيهم، غير أن نفس الكتابات ناقضت نفسها، ونقلت لنا الحرية التي كان يتمتع بها الأسرى خاصة في الجانب الديني، لقد مارس الأسرى داخل السجون حياتهم الدينية بشكل طبيعي وبحرية تامة.

**3-1-إنشاء الكنائس:** سمحت السلطة العثمانية في الجزائر بالسماح للمسيحيين ببناء معابدهم الخاصة لممارسة حياتهم الدينية بكل حرية مقابل دفع الجزية، لذلك وجدت عدة كنائس خاصة بالأسرى والتي كانت تقام داخل سجونهم بالدرجة الأولى، يضاف إليها كنائس أقيمت داخل منازل القناصل الأوربيين، والتي عادة ما يلجأ إليها المسيحيين الأحرار من التجار والقناصل، وكذا بعض الأسرى الخواص الذين يلجؤون إليها لإقامة صلاتهم اليومية أو الأسبوعية.

أشارت بعض المصادر إلى وجود عددا من الكنائس الخاصة بالأسرى، إلا أن هناك تضارب في تحديد عددها ومواقعها، فمثلا نجد أن الأب دان أشار خلال القرن السابع عشر إلى

1 - كاثكارت- المصدر السابق- ص 61.

2 -Venture de Paradis- op.cit.- p.51.

3 - Comelin-op.cit. -p.51.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ثلاثة كنائس فقط[1]، أما الأسير البرتغالي ماسكاريناس أكد أن مدينة الجزائر تحتوي على أربعة كنائس داخل أربعة سجون[2]، بينما نجد الأب أوفري ذكر خمسة كنائس أربعة منها تتوزع على أربعة سجون، وواحدة داخل منزل القنصل الفرنسي[3]، رغم اختلاف المصادر على تحديد أعدادها إلا أننا سنحاول عرض أهمها.

عملت مختلف الهيئات الدينية المسيحية مثل هيئة آباء الثالوث المقدس[4] وتنظيم سيدة الرحمة[5] على إنشاء العديد من الكنائس في الجزائر، وذلك من أجل متابعة الجانب الروحي لجميع الأسرى المسيحيين، لذلك زودت أغلب السجون بالكنائس وحتى المستشفيات التي أقيمت داخل السجون لقد زودت هي الأخرى بمصليات صغيرة للعبادة[6].

والواضح أن إنشاء أغلب الكنائس كان خلال القرن 10هـ/16م، فتمثلت أول وأقدم كنيسة شيدت للأسرى المسيحيين بمدينة الجزائر في الكنيسة المسماة "بكنيسة الثالوث المقدس"[7]، ويطلق عليها أيضا إسم "بريماريا" (Primaria) أو "مايور" (Maior)، وهي تقع في

1 -Dan - op.cit.- p.p.433,434.

2 - Mascarenhas- op.cit.- p.70.

3 - D'Auvry- op.cit.- p.85.

4 - تنظيم الثالوث المقدس تأسس حسب بعض المصادر الأجنبية من طرف شخصيتين دينيتين هما "جون دو ماتا" « Jean De Matha » و"فليكس دوفالوا" Félix De Valois ».- وتنحدر أصولهما من عائلات فرنسية- رأى أحدهما حلما يتمثل في أن ملكا يحمل صليبا وعلى جانبيه يجلس أسيرين أحدهما مسيحي والآخر مسلم- وفسر هذا الحلم على أن الله يريده لخدمة المسيحية لذلك أخذت الرؤية إهتماما كبيرا لدرجة أنها وصلت إلى بابا روما بعد ذهابهما لرؤيته حول تفسير هذا الحلم سنة 1198م- ليعلن فيما بعد عن إنشاء تنظيم الثالوث المقدس الذي يمثل الأب والإبن وروح القدس. أنظر:

- Dan- op.cit.- p.p.465-470.

5 - تأسس تنظيم سيدة الرحمة في سنة 1218م بفرنسا من طرف بعض رجال الدين من بينهم "بيير نولاسك" S. Pierre Nolasque الذي يشير إلى أنه تجسدت أمامه القديسة مريم في الكنيسة الأمر الذي جعله يعمل على تأسيس هيئة دينية يشتق إسمها من السيدة مريم. أنظر:

- D'Auvry- op.cit.- pp.8-10.

6 - أقيمت في السجون الرئيسية التي غالبا ما شيدت فيها مستشفيات إسبانية خاصة وألحقت بمصليات من أجل تلقي العلاج الجسدي والروحي. أنظر:

- André Berbrugger -« Charte des hôpitaux Chrétiens d'Alger, 1694 »- Revue Africaine- N°08- Alger-1949 - p.135.

7 - إذ تعود أولى الإشارات إلى أن أول كنيسة شيدت للأسرى تعود للقرن السادس عشر من طرف الأب الإسباني "دي سيباستيان دي بور" « Père Sébastien Du port » الذي أسس المستشفى الإسباني سنة 1551م ولا نعلم إذا ما كان أسس الكنيسة بعد المستشفى أم قبلها خلال زيارته الأولى لمدينة الجزائر سنة 1545م. للتوسع حول الموضوع أنظر:

- Berbrugger- op.cit.- p.13 - Gramaye- op.cit .- p.164., - Comline- op.cit.- p.p.77-78.-4.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الطابق الأرضي من المبنى العام للسجن الكبير الذي خصص جزء منه لهيئة الثالوث المقدس، وهي مفصولة عن السجن بأبواب حاجزة ومزخرفة من الداخل وفسيحة جدا، تحتوي على كل ما يلزم لأداء الممارسات الدينية من ثياب مقدسة وزينة وكؤوس ومسكن للقربان المقدس[1]، أما عدد القائمين على هذه الكنيسة فهو كبير، فبحسب الأب هايدو خلال القرن السادس عشر قد تجاوز عددهم الأربعين رجل دين خاصة خلال المناسبات الدينية[2]، وعلى الأرجح أنه عدد مبالغ فيه جدا.

تليها كنيسة سجن الباستارد، والتي تضاهيها أهمية من حيث مكانتها ومقتنياتها المقدسة، والمسماة "سانت ماري"(**Sainte Marie**)، تحتوي هذه الكنيسة على مذبحين كلاهما خاص بتقديم طقوس القرابين أو لإقامة الطقوس الدينية، أحدهما مخصص للسيدة العذراء والآخر للقديسة لوسيا، وتحتوي على خطيبين يعتنيان بالشؤون الدينية للأسرى، تتميز عن الأولى بزخارفها الرائعة وأثاثها المقدس، كما أنها تعرف حشدا كبيرا من المسيحيين خلال صلاتهم وأعيادهم الدينية[3]، وهو أمر مثير للدهشة فهل كان يتم الاهتمام بهذه الكنيسة أكثر من الكنيسة الأولى مما أدى إلى جذب عدد كبير من الأسرى إليها؟

أما الكنيسة الثالثة فهي كنيسة "سان روش"(Saint-Roche) الواقعة بسجن علي بتشين، والرابعة كنيسة "سانت كاثرين"(Sainte-Catherine)، وهي صغيرة جدا مقارنة بالسابقتين، ولها مذبح للطقوس الدينية[4]، يضاف إلى هذه الكنائس معبد أو مصلى صغير موجود داخل المستشفى الإسباني المتواجد بالسجن الكبير، وهو عبارة عن مذبح خاص بالصلاة والقربان يقع في وسط قاعة العلاج التابعة للسجن، وعلقت به مجموعة من الصور والصلبان الملونة باللون الأحمر والأزرق، كمحاولة من هؤلاء الرهبان معالجة جسد المريض

1 - Gramaye- op.cit .- p.p.156-423.

2 - Haedo- op.cit- p.p. 203- 204.

3 - Gramaye- op.cit.- p.423.

4 أنظر: --Dan- op.cit.- p.434., - Gramaye- op.cit.- p.425.

-Henri Klein- «**Les anciens bagnes** »- In: Les Feuillets d'El-Djezaïr- hors-série- 1937- p.175.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وروحه في نفس الوقت من خلال إتباع طريقة الإعتراف وتلقي القربان[1]، هذا بالنسبة لكنائس الأسرى الموجودة داخل المؤسسات العقابية أو السجون.

أما بالنسبة إلى الكنائس القائمة خارج السجون، وهي خاصة بالدرجة الأولى بالمسيحيين الأحرار من القناصل والتجار، إلا أن بعض الأسرى الخواص وحتى المقيمين بالسجون يلجؤون إليها عند الحاجة، وهذه الكنائس تقع في منازل القناصل فنجد واحدة في منزل القنصل الإسباني وواحدة في منزل القنصل الفرنسي[2]، هذا بالنسبة للأسرى الكاثوليك أما الذين يتبعون مذاهب أخرى فقد كانت لهم أيضا حرية ممارسة ديانتهم بحسب مذهبهم، فكان هناك كنيسة خاصة بالبروتستانت وجدت في منزل القنصل الإنجليزي[3].

وحتى المسيحيين المتبعين للمذهب الأرثوذكسي خاصة من اليونان سواء أسرى أو أحرار كان لهم حرية المعتقد، وبحسب بيصونال(Peyssonnel) كان لهم راهب وكنيسة خاصة بهم توجد في أحد السجون[4]، وأشارت إحدى المصادر أن الأب المسؤول عن هذا المذهب ألحق منزله بكنيسة هذا السجن[5]، غير أنه لم يحدد اسم السجن فلا نعلم أي سجن كان يحتوي على هذه الكنيسة الأرثوذكسية، وذكرت إحدى الدراسات أن طائفة الكويكرز[6] الخاصة بالأسرى الإنجليز والأمريكان وعلى قلة أعدادهم كانت لهم الحرية في أداء طقوسهم الدينية[7]، غير أن المصادر خاصة الأمريكية منها لم تشر إلى وجود هذه الطائفة في الجزائر، وقد يكون ذلك راجع لقلة أعدادهم، فقد أشارت إحدى المصادر الإنجليزية الخاصة بالجهود المبذولة

1 - Gramaye- op.cit. p p.156- 157.

2 -De Tassy, op.cit., pp.287-291., -Dan- op.cit.-pp.432-433.

3- Philips George- the present of tangier in a letter to his grace the lord chancellor of Ireland and one of the lords justices there: to which is added the present state of Algiers-printed for H. Herringman- London-1676 -pp. 93,94.

4- Jean - André Peyssonnel - Voyage dans les Régences de Tunis & d'Alger- Vol.01- Libraire de Gide- Paris- 1838- p.458

5 - Joseph Morgan- A Compleat History of the Piratical States of Barbary: Viz. Algiers, Tunis, Tripoli, and Morocco- R. Griffiths- London- 1750-p.235.

6 - طائفة الكويكرز أو جمعية الأصدقاء الدينية، تأسست بعد إنشقاقها من المذهب البروتستانتي خلال القرن السابع عشر بإنجلترا، لتنتشر حتى وصلت إلى أمريكا، وتهدف إلى تقليل دور الآباء وتدعيم فكرة صلة الرب بعبده دون وجود وسيط. للمزيد أنظر:

-Carroll Kenneth L.- "America's First Quakers—Where, When, and by Whom?"- Quaker History- vol. 85- N0. 2-1996 -pp. 49–59.

7 - بلقاسم قرباش -الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات(1671-1830م)- أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة مصطفى اسطمبولي-معسكر-2015-**2016**- ص 283.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

لتحرير الأسرى إلى وجود أفراد من هذه الطائفة أو الجمعية الدينية الذين كانوا أسرى في الجزائر، والملاحظ من المعلومات المقدمة أن أعدادهم كانت قليلة جدا[1].

إضافة إلى تلك الكنائس وجدت كنيسة في الدير أو الأسقفية الخاصة بالآباء المكلفين بافتداء الأسرى، والذي أسسته طائفة هيئة كهنوت الرحمة الفرنسية[2]، لقد أشار كاثكارت إلى أن هذا الدير يشرف عليه ثلاثة من رجال الدين، الذين عملوا على إدارة ورعاية المصليات والكنائس الموجودة داخل السجون، وكذا تقديم المساعدة للأسرى من خلال التوجيه الروحي والوعظ والصلاة وقول القداس وجمع التبرعات وتوزيعها عليهم[3]، كمحاولة منهم لتثبيت الأسرى على دينهم المسيحي خوفا من تحولهم للدين الإسلامي.

مما سبق يمكن القول أنه كان هناك ستة كنائس داخل السجون في مدينة الجزائر بحسب ما أشارت إليه مصادر القرنين السادس عشر والسابع عشر خاصة، وذلك باحتساب الكنيسة الخاصة بطائفة الأرثوذكس، والمصلى الصغير الموجود داخل المستشفى الإسباني، أما الكنائس الموجودة خارج السجون فهي أربعة، ثلاثة منها تقع على مستوى القنصليات الأوروبية وواحدة في الأسقفية الفرنسية، وهو نفس ما أكدته إحدى الدراسات مشيرة إلى أن عدد الكنائس في السجون وصل لستة كنائس في أواخر القرن السابع عشر[4]، ولا توجد إشارة إذا ما زاد عددها أم تناقص خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ومن المرجح أنه تراجع عددها نتيجة تراجع عدد الأسرى المسيحيين مما أدى إلى إغلاق بعض السجون.

على العموم كانت هذه السجون تدار وتسير من طرف رجال الدين، وكل كنيسة يعين فيها على الأقل كاهن واحد مسؤول على تسيير الشؤون الدينية فيها، وكان أغلبهم من رجال الدين الأسرى أو من رجال الدين المكلفين بمهمة تحرير الأسرى، ومن بين الأسرى الذين تولوا

---

1 - فبحسب التقارير والرسائل الموجودة في هذا المصدر نلاحظ قلة أعداد الأسرى المنتمين لهذه الطائفة بحيث لا يفوق عددهم عشرين أسيرا، وغالبا ما تشير الرسائل التي يتضمنها إلى خمسة أو ستة أسرى حسب السنوات المحررة فيها. لتفاصيل أكثر أنظر:

- Edward Garrard Marsh- Account of the slavery of friends in the Barbary states: towards the close of the seventeenth century-E. Marsh-London, 1848-pp.9-20.

2 - لقد أشار إليه بايصونال(Peyssonnel ) على أنه منزل رجال البعثة أي أباء الإفتداء مؤكدا على أنه تمارس فيه الديانة المسيحية بكل حرية. أنظر: - Peyssonnel- op.cit.- p.458.

3 - كاثكارت- المصدر السابق- ص ص 103- 104.

4 - Ellen G. Friedman- "**the exercise**..."- op.cit- p.28.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

إدارة الكنائس نذكر على سبيل المثال لا للحصر الأب غراماي الذي عمل على إدارة الأسرار الدينية، وتقديم الوعظ والصلاة وقراءة القداس اليومي والأسبوعي في أكثر من مناسبة خلال فترة أسره، وهو ما أكده في مذكراته[1]، وكذلك الأب الإيطالي أنجيلي( Père Angeli) الذي كان أسيرا في سجن علي بتشين خلال القرن 11هـ/17م، والذي تولى مهمة تلاوة القداس الصباحي يوميا في كنيسة السجن، بل تعدت مهمته إلى مساعدة الأسرى المرضى ماديا ومعنويا من مختلف الجنسيات الأوروبية[2].

أما القائمين على الكنائس من فئة الآباء المكلفين بمهمة افتداء الأسرى نجد الأب (جون جيل (P. Fray Jean-Gil) والأب أنطونيو دو بيلا (Fray Antonio de la Bolla) اللذان وصلا إلى الجزائر في شهر ماي من سنة 1580م في مهمة من طرف الملك الإسباني تتمثل في افتداء الأسرى، فقد ذكر هايدو أن مهمتهما تعدت ذلك فقد عملا على التبشير وتثبيت الإيمان في نفوس الأسرى[3]، فقد كانت تقدم التوجيهات إلى هؤلاء الآباء على زيارة الأسرى في السجون والكنائس كأول عمل يقومون به عند وصولهم إلى الجزائر[4]، ويمكن رد هذا الاهتمام الكبير بالجانب الديني للأسرى إلى الصراع الديني المسيحي الإسلامي، ومحاولة منهم لمواجهة أكبر خطر وهو دخول الأسرى المسيحيين في الدين الإسلامي.

لا بد من الإشارة هنا إلى أن هذه الكنائس كانت تدفع مبلغا من المال للمزوار، وذلك كل شهر[5]، وهذا المبلغ يدخل ضمن الجزية التي نص عليها قانون أهل الذمة الذي يضمن لهم حرية العبادة، غير أن الأب دان اعتبر أن هذا الأمر مثير للشفقة وللغرابة لأن هذا المبلغ المقرر دفعه يتم جمعه من التجار المسيحيين، ومن المساهمات التي يقدمها بعض الأسرى[6]، فهو بذلك يشير إلى أنه استغلال مجحف في حق الأسرى.

---

1 - ذكر غراماي في أكثر من موضع أنه حضر وترأس بعض الإحتفالات الخاصة ببعض الأعياد الدينية- كما تولى صلاة القداس أكثر من مرة- بل تعددت مهامه حتى أصبح يعرض عليه أوضاع الأسرى والكنائس في مختلف مدن الجزائر كتلمسان وعنابة. للمزيد أنظر: Gramaye- op.cit.- pp.331- 337.

2 - D'Aranda - op.cit.-p.p.239-240.

3 -Haëdo- De la captivité à Alger- trad. par Moliner-Violle- Typographie Adolphe Jourdan- Alger- 1911- pp.197- 198.

4- Ellen Friedman- « **the exercise ...**"- op.cit.-p.26.

5 -Henri Klein- «**Les anciens bagnes** »-op.cit.-p.175.

6 -Dan-op.cit. –p.433.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

**2-3- حرية ممارسة المعتقد:** تمتع الأسرى الأوروبيين على اختلاف مذاهبهم بحرية ممارسة ديانتهم يوميا داخل تلك الكنائس المجهزة لإقامة شعائرهم، فكانت تلك الكنائس مكان مخصص للممارسة الدينية للأسرى، يقومون فيها بالصلاة اليومية والأسبوعية، فبحسب المصادر الأجنبية كان يؤدي الأسرى طقوسهم الدينية بكل حرية في الجزائر، وفي هذا الصدد ذكر القنصل الفرنسي دو تاسي (De Tassy) وبشكل صريح أن الأسرى المسيحيين كان لديهم الحرية الدينية في ممارسة طقوسهم في المؤسسات العقابية[1].

تمثلت الحرية الدينية للأسرى المسيحيين في تلك الممارسات اليومية الدينية التي تمارس كل يوم في الكنائس على اختلاف أماكنها، فيجتمع هؤلاء في تلك المصليات مع الكهنة لأداء القداس اليومي الصباحي وتلاوة قداس صلاة المغرب، وقدرت تلك الصلوات بحسب الأسير البرتغالي ماسكاريناس حوالي خمسة عشر قداسا يوميا في كنائس السجون فقط[2]، فقد كانت الصلوات اليومية تقام أيضا في المصلى الخاص بالمستشفى الإسباني الموجود في سجن الملك- السجن الكبير-، حيث يوجد المرضى من الأسرى المسيحيين من مختلف الجنسيات[3]، وذلك بهدف مساعدتهم روحيا وتخفيف عنهم ألم المرض.

إضافة إلى القداس اليومي كان هناك القداس الأسبوعي الذي يكون عادة يوم الأحد، ويكون هذا القداس مصحوبا بترنيمات دينية ومعزوفات موسيقية، بحيث يتوافد عدد كبير من الأسرى المسيحيين خلال هذا القداس[4]، فبحسب الأب أوفري أن هذه الكنائس تتسع لحوالي مائتي أسير خلال صلاة القداس اليومية والأسبوعية[5]، وهو عدد مبالغ فيه نوعا ما خاصة إذا علمنا أن تلك الكنائس عبارة عن غرفة داخل السجن، فهل فعلا كانت تتسع لهذا العدد الكبير من الأسرى؟

في نفس السياق ذكر هايدو خلال القرن 10هـ/16م أن كنيسة الثالوث المقدس الموجودة في سجن الملك كانت مقصدا للعديد من الأسرى للصلاة اليومية، وفي أيام الأحاد لأداء القداس

1 - De Tassy- op.cit.- p.95.

2 - Mascarenhas - op.cit.- pp.71- 72.

3 - D'Auvry- op.cit.- p.67.

4 - Haedo- op.cit.- pp 203- 204.

5 - D'Auvry- op.cit.- p.85.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الأسبوعي، فكان يوجد منهم عدد كبير لدرجة أن المكان لم يتسع لهم، مما اضطر الكاهن إلى نقل القداس إلى خارج الكنيسة في فناء السجن حتى يتسع المكان للجميع[1].

كانت تلك الكنائس أيضا ملجأ للاعتراف بالذنب، لذلك كانت تستقبل الأسرى الذين يرغبون في الاعتراف أو الإدلاء بأسرارهم كنوع من التكفير عن ذنوبهم، فقد كان أسرى السجون حسب الأب دان أكثر حظا من الأسرى الخواص، الذين يرفض مالكوهم ذهابهم ومنعهم من حضور تلك المناسبات الدينية اليومية، أو قداس يوم الأحد أو حتى للذهاب لتقديم الاعتراف، بل يمكنهم الذهاب في حالة واحدة، وهي تقديم الأموال لأصحابهم مقابل السماح بذهابهم للكنيسة[2]، حاول الأب دان حصر معاملة المسلمين للأسرى المسحيين في رفضهم منح حق ممارسة ديانتهم، وذلك بهدف كسب تعاطف العالم المسيحي لهاته الفئة، من أجل جمع المزيد من التبرعات من الأموال لفديتهم.

على عكس ما ذكره الأب دان فقد صورت بعض الكتابات الأجنبية وضعية الأسرى الخواص، الذين كانت لهم حرية المعتقد مثلهم مثل أسرى البايلك، فقد كان يسمح لهم بالذهاب للكنائس من أجل ممارسة حياتهم الدينية بكل حرية، وفي هذا الصدد نجد القنصل الفرنسي دو تاسي الذي صور المعاملة الخاصة بالأسرى من قبل مالكيهم المسلمين، فقد ذكر أن مالكي الأسرى هم من يدفعونهم للذهاب للكنائس لحضور القداس الأسبوعي والذهاب للاعتراف كل أسبوع، بل حتى أن بعضهم هو من يقوم بأخذ أسيره للكنيسة[3]، وفي نفس السياق لدينا شهادة أحد الأسرى وهو داراندا **(D'Aranda)** الذي ذكر في مذكراته خلال القرن 17م/ 11هـ أنه كان يسمح له بالذهاب إلى كنيسة سجن علي بتشين كلما طلب الإذن من سيدته لأداء القداس والصلاة اليومية، وذلك بعد أداء المهام اليومية المكلف بها[4].

كما أكد الباحث الإنجليزي بلايك(Blake) في بحثه حول العبودية، أن مالكي الأسرى النافذين ذوي المناصب العليا يقومون باستئجار كاهن خصيصا لأسراهم، أما الملاك الآخرين

1 - Haëdo- op.cit.- pp.203- 204.

2 - Dan- op.cit.- p.433.

3 - De Tassy- op.cit.- pp.106- 107.

4 - D'Aranda (E.)- op.cit.-p.57.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

فيأخذون أسراهم مرة في الأسبوع للاعتراف في الكنيسة بانتظام[1]، وهو دليل على التسامح الديني مع هؤلاء الأسرى واحترام ديانتهم ومنحهم حق ممارستها.

4- **أهم الأعياد والمناسبات الدينية المسيحية:** تجلى التسامح الديني مع الأسرى المسيحيين أيضا في السماح لهم بالاحتفال بأهم الأعياد الدينية المسيحية، إلى جانب ممارستهم الدينية اليومية، والتي كانت منتشرة على مدار السنة، أما بالنسبة للأعياد التي كان يحتفل بها فهي نفسها الأعياد الدينية التي تحتفل بها الكنيسة في العالم المسيحي، فقد اعتبر الباحث بلايك أن أعظم تسامح هو ذلك الذي يمتد لتأدية الطقوس الدينية في الجزائر، فأعظم الاحتفالات الأربع للكنيسة الرومانية (عيد الميلاد، عيد الفصح، مولد القديس جون- يوحنا- والقديسة العذراء) حيث تعتبر أعياداً مقدسة للأسرى واعتبرت كعطلة لهم[2].

غير أن المصادر الأجنبية أشارت إلى ثلاثة أعياد يحتفل بها الأسرى داخل السجون، والمتمثلة في "عيد الفصح" و"عيد العنصرة" و"عيد الميلاد"، كان يحتفل "بعيد الفصح"[3] داخل كنائس السجون، والذي يشار إليه في المصادر بمصطلح (Fête de Pâques)، وهو أول الأعياد الدينية الهامة على مدار السنة، ويكون هذا العيد في أحد الأيام في الفترة الممتدة من شهر مارس إلى غاية أواخر شهر أفريل، وتعود أولى الإشارت إلى هذا العيد والاحتفال به في الجزائر بتاريخ 06 أفريل 1561م، بحسب ما أشار إليه الطبيب والأسير الإسباني أنطونيو دي صوصا[4]، خلال محادثاته مع صديقه الذي جاء لزيارته في السجن أيام أسره بمدينة الجزائر

1 -William Blake- The History of Slavery and the Slave Trade ANCIENT AND MODERN. -THE AFRICAN SLAVE TRADE-- COLUMBUS- OHIO: BY H. MILLER- 1860- p.80.

2 - William Blake- op.cit. - p. 79.

3 - عيد الفصح ويسمى أيضا بعيد القيامة وهو من أعظم الأعياد المسيحية لكونه يخلد ذكرى قيامة المسيح من بين الأموات بعد اليوم الثالث من صلبه وموته، وتقام فيه مجموعة من الصلوات والترتيلات التي تبدأ من العاشرة ليلا وتستمر إلى الساعة الثانية صباحا. لتفاصيل أكثر حول الموضوع أنظر:- هبي أنطون معد- عيد الفصح المجيد- مطبعة دير المخلص- لبنان- 1937.

4 - أنطونيو دي سوزا ANTONIO DE SOSAهو رجل دين وطبيب في علم اللاهوت وكاتب برتغالي- كان عضو في التسلسل الهرمي الكنسي الإسباني الإيطالي، تعرض للأسر في سنة 1577م من طرف السفن الجزائرية بينما كان في طريقه لتولي منصب عميد كاتدرائية أغريجنتو بصقلية- قام بتأليف مجموعة من الكتابات التي نشرها فيما بعد الأسير الإسباني هايدو سنة 1612م ومن بينها كتابه حول الأسر الذي كان على شكل حوار مع صديق أنطونيو الذي قام بزيارته في السجن. أنظر:

-Felipe Ruan (E.)- « **An Early Modern Dialogue with Islam: Antonio de Sosa's Topography of Algiers (1612) by Antonio de Sosa- María Antonia Garcés- Diana de Armas Wilson**"- in: Renaissance Quarterly- Vol. 65- No. 1- 2012- p.229.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

سنوات 1577م-1581م[1]، لنجد إشارة أخرى إلى هذا العيد بشكل واضح عند الأب خمينيث (Ximénez) الذي حضر هذه المناسبة، والتي تزامن حدوثها بتاريخ 8 أفريل من سنة 1719م، واحتفلوا بها في كنيسة المستشفى الإسباني الموجود في سجن الملك مع الأسرى المرضى[2].

أما بالنسبة لعيد "العنصرة" يكون مباشرة بعد "عيد الفصح" بفارق زمني يقدر بحوالي خمسين يوما، غالبا ما يتم الاحتفال به في شهر ماي، وهو مرتبط إرتباطا وثيقا بتحديد يوم الفصح ليتم حساب الوقت المتبقي له، رغم أهمية هذا العيد بالنسبة للمسيحيين إلا أن أغلب المصادر الأجنبية لم تشر إليه، على عكس القنصل الفرنسي دوتاسي الذي أشار إليه خلال حديثه عن مختلف الأعياد الدينية التي احتفل بها الأسرى في الجزائر[3]، إلا أنه لم يطلعنا على تفاصيل الاحتفال به، ولا الطقوس المصاحبة له، ولا عن تاريخ حدوثه خلال تواجده في الجزائر، واكتفى بتأكيد وجود هذا العيد ضمن قائمة الأعياد الدينية المسيحية.

وتمثل العيد الثالث في "عيد الميلاد" أي ميلاد المسيح، والمقرر الاحتفال به في 25 ديسمبر من كل سنة، والذي يعد يوم عطلة بالنسبة لجميع المسيحين الموجودين في الجزائر من أسرى وأحرار، ويقومون بالاحتفال به بشكل رسمي وبحرية تامة، وقد أشارت المصادر إلى أن الاحتفال بهذا العيد بالنسبة للمسيحيين الموجودين في الجزائر يكون بنفس الطريقة المتداولة في جميع الدول المسيحية، بحيث يبدأ في العاشرة مساء من هذا اليوم، وفي منتصف الليل يتم الاحتفال بالقداس لتنطلق أصوات الأبواق والمزامير وتنتهي في الساعة الثانية صباحا[4].

إضافة إلى تلك الأعياد الرئيسية في الديانة المسيحية؛ كانت هناك أعياد ثانوية خاصة بالقديسين ورجال الدين، وقد تمكنا بالاعتماد على بعض المصادر من تأكيد احتفال الأسرى المسيحيين الموجودين في الجزائر بهذا النوع من الأعياد، وذلك من خلال وجود إشارة إلى هذه

1 -Haëdo- De la captivité...- op.cit.- p.241.

2 - Leila Ould Cadi- Alger, une cité turque au temps de l'esclavage À travers le Journal d'Alger du père Ximénez, 1718-1720 - Presses universitaires de la Méditerranée- 2006-
p.273.

3 - DE Tassy- op.cit. - pp. 106-107.

4- أنظر: Ibid.- pp.107-287.- L'ABBÉ ORSE- op.cit.- p.183.-

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

المناسبات عند الأب غراماي (Gramaye) خلال القرن 11هـ/17م، فقد ذكر عددا من تلك الأعياد المرتبطة بأشهر القديسين في الديانة المسيحية، ومن بينها العيد المسمى "بعيد السلف المقدس"، والذي عادة ما يحتفل به المسيحيين في يوم 23 جوان من كل سنة، ففي سنة 1619م تم الاحتفال به في الكنيسة الرئيسية في السجن الكبير، التي كان بها حشد غفير لدرجة أن الكنيسة لم تستوعب العدد الكبير[1]، وأضاف غراماي أثناء حديثه عن هذا العيد أنه ترأس القداس والصلاة كما وزع على الحضور عددا من المسابح التي منحها له بابا روما قبل مغادرته في مهمته، وتم أسره خلال عودته منها[2].

يلي هذا العيد مباشرة عيد القديسين "يوحنا" أو "جون" وبول" (saint Jean et Paul)، والذي يتم الاحتفاء بهما بداية من يوم 24 جوان من كل سنة، ويستمر لعدة أيام متواصلة بحيث احتفل به جميع الأسرى من خلال تزيين الكنيسة بزخارف بابوية، مع وجود بعض الآلات الموسيقية التي كانت تصاحب صلوات القداس[3]، ليستمر الحفل إلى يوم 26 جوان، وتكون طريقة الاحتفال به في هذا اليوم من خلال استحمام المسيحيين في البحر، وبحسب غراماي فإن هذه العادة جاءت من إسبانيا حيث كانوا يقومون بها خلال الوقفة التذكارية لهذا القديس، إضافة إلى ذلك كانت هناك عادة إشعال النار لمدة عشرة أيام متتالية مرتبطة ارتباطا وثيقا بهذه المناسبة السنوية[4].

غير أن الأمر المثير للانتباه هو إشارة غراماي إلى مشاركة السكان المسلمين بمدينة الجزائر في هذه المناسبات من خلال إضرامهم النار في شرفاتهم لأيام متتالية[5]، ولا نعلم علاقة سكان الجزائر المسلمين بهذه المناسبة، ولكن يمكن تفسير ذلك أن سكان الجزائر كانوا

1 - Gramaye- op.cit.- pp.337- 339

2 - Ibid- pp.338- 339.

3 -Ibid- p.339., - L'ABBÉ ORSE- op.cit.- p.71.

4 - Gramaye- op.cit.- p.341.

5 - Ibid- pp. 341-343.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

يحتفلون بالانقلاب الصيفي الذي يصادف حدوثه تاريخ 24 جوان[1]، وهو نفس تاريخ عيد القديسين عند المسيحيين.

وفي سياق الحديث عن أعياد القديسين أشار الأب خيمينيث خلال تواجده في مدينة الجزائر خلال النصف الأول من القرن 12هـ/18م إلى عيدين من أعياد القديسين، وهما "عيد القديس جون دي ماثا "Juan de Matha" الذي احتفل به الأسرى في الثامن من شهر فيفري بحسب ما ذكره خيمينيث سنة 1719م، أما "عيد القديسة مريم" الذي صادف الاحتفال به يوم الأحد 11 من شهر سبتمبر لسنة 1718م[2]، وغيرها من الأعياد والمناسبات المرتبطة بشخصيات دينية مسيحية تختلف مواقيت الاحتفال بها باختلاف مواعيدها[3]، ورغم أن المسيحيين في الجزائر اهتموا بها واحتفلوا بها إلا أن أغلب المصادر لم تزودنا بمعلومات دقيقة عنها.

5- **الطقوس الاحتفالية بالأعياد الدينية:** غالبا ما تكون الأعياد المسيحية مرفقة ببعض الاحتفالات والطقوس الدينية بصفة عامة، وهو ما كان متبع في أغلب المناسبات الدينية المسيحية المحتفل بها في الجزائر، إذ نجد ضمن بعض المصادر الأجنبية رغم تعصبها الديني إقرارا بحرية ممارسة تلك الطقوس الدينية بكل أريحية مع كافة الأعياد الكاثوليكية المقدسة على مدار السنة، والتي يتم الاحتفال بها بشكل بهيج بنفس القدر من الاحتفاء في الدول المسيحية، وهو ما أكده أحد الرهبان الفرنسيين خلال تواجده بالجزائر سنة 1609م، وهو الأب برنارد دي مونروي (P. Don Bernard Monroy)[4]، مشيرا إلى أن الاحتفالات الدينية

1 - أشار الحسن الوزان في مذكراته أنه شهد إحتفال المسلمين في مدينة فاس وفي إسبانيا أيضا بذكرى القديس يوحنا الذي صادف 24 جوان من سنة 1493م- وفي نفس الوقت الإحتفال بالإنقلاب الصيفي الذي كان في نفس اليوم وإحتفل الناس به لأنه يحدد مواعيد الفلاحة عندهم. أنظر: أمين معلوف- ليون الإفريقي- تر: عفيف دمشقية- دار الفارابي- لبنان- ط2- 1997- ص 70.

2 - Leila Ould Cadi- op.cit.-p.206.

3 - للإطلاع على مختلف المناسبات الدينية المرتبطة بالقديسين أنظر: - Gramaye- op.cit.- pp.337-361.

4 - الأب برنارد دي مونروي « P. Don Bernard Monroy » كان أحد الرهبان الثالوثيين الذين كلفوا بمهمة إفتداء الأسرى من الجزائر سنة 1609م- ذهب للجزائر برفقة الأب "أكيلا" « P. Aquila » " « P. Palacio »و" بلاسيو " إلا أنهم وقعوا في الأسر في يد الجزائريين وبقوا في السجن لمدة ثلاثة سنوات إلى غاية 1612م. للمزيد أنظر:

- Dan- op.cit.-pp.501- 504.

-Ellen Friedman-« **the exercise ...**" -op.cit.- p.26.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

المقامة بين المسيحيين في الجزائر هي نفسها حسب التقاليد المتبعة في بلادهم[1]، ليأتي بعده الأب كوملين في سنة 1720م، ويثبت الأمر من خلال حضوره احتفال "عيد الميلاد" بين الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر، مشيرا إلى أن الاحتفال أقيم بقدر كبير من الحرية والحيوية كما هو الحال في أرض المسيحيين[2].

كانت مظاهر الاحتفال بارزة في الكنائس خلال أيام الأعياد؛ فكانت كل أشكال الزينة بادية عليها، بحيث زودت أغلب الكنائس بمختلف الأثاث المقدس والزينة والنقوش الدينية، فقد أعجب الأب غراماي بأثاث كنيسة "سانت ماري" التي كانت تتميز عن غيرها بزخارفها وأثاثها المقدس، لذلك غالبا ما يتم فيها الإعلان عن أيام الأعياد الدينية[3]، لقد كانت أغلب الكنائس أيضا مجهزة بشكل رائع بالأقمشة الحريرية والكتان، وبعض اللوحات الثمينة والكثير من الزخارف الدينية الموجودة على واجهات المذبح، كما أنها تتوفر على الثياب الكهنوتية وبعض الأزياء التي يرتديها الكهنة خلال الأعياد[4]، كان الشمع أيضا حاضر بقوة خلال هذه الأعياد وبأعداد كبيرة، فمثلا خلال يوم الأربعاء المقدس من احتفالات أسبوع الآلام زينت الكنيسة بأكثر من مائة وخمسين مصباحا شمعيا، كما جرت العادة أن تزود كل من كنيسة الثالوث المقدس، وكنيسة القديسة مريم بكمية كبيرة من الشمع كل سنة[5].

ساهم بعض الأسرى الذين يملكون حرفا يدوية في صناعة بعض الزخارف والأثاث للزينة، وصناعة الثياب والأغطية للمذبح المقدس وتقديمها للكنيسة[6]، ويكون ذلك تحت إشراف بعض الكهنة، وهو ما قام به الأب مونروي خلال ترأسه المراسم الخاصة للاحتفال بعيد الفصح، الذي سبقته موجة كبيرة من التحضيرات والنشاط الديني، والذي وصل ذروته عند الأسرى الذين وظفوا في صنع أثواب المذبح وزخارف نباتية، وغيرها من الضروريات التي كان لابد منها خلال هذه المناسبة الدينية[7].

1 - Dan- op.cit.- p.510.

2 -Comelin -op.cit.- p.136.

3 - Gramaye- op.cit.- p.423.

4 -Mascarenhas -op.cit.- p.71.

5- Dan- op.cit.- p.509.- Mascarenhas -op.cit.- p.71.

6 - Gramaye- op.cit.- p.339.

7 - Dan- op.cit.- pp.509- 510.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

شارك المسلمون في هذه الاحتفالات من خلال تقديم هدايا معتبرة للكنائس، تمثلت في العديد من المصابيح والشمع والزيت والأقمشة الحريرية التي تعلق في المناسبات الدينية، غير أنها كانت على هيئة الإعارة، فقد أشار الأب مونروي في سنة 1612م أنه خلال أحد الأعياد المقدسة قام بعض الأعلاج والأتراك بإعارتهم المفروشات، وبعض الحلي، والتي احتفظ بها الأسرى بكل قوة خلال هذا اليوم على حسب ذكره[1]، وهو نفس ما سجله ماسكاريناس في سنة 1626م مشيرا إلى أن أغلب الأقمشة الحريرية التي كانت تزين بها الكنائس، كان يعيرها الأتراك العثمانيين لأسراهم[2] خلال مختلف المناسبات الدينية.

أما بالنسبة للطقوس الاحتفالية بالأعياد الدينية، تتمثل في القيام بالقداس والوعظ الديني مع علو أصوات الموسيقى والغناء، وترتيل الصلوات المتواصلة، لقد صور لنا غراماي مشهدا من مشاهد الاحتفال "بعيد القديس يوحنا"، الذي قدم فيه ثمانية من الكهنة مع بعض الأسرى عرضا دينيا برفقة صوت الآلات الموسيقية، الأمر الذي جعل الحضور يصفق بحرارة كبيرة وتهمر دموعهم طيلة العرض، بل حسب قوله أن أربعة من الأسرى اعترفوا أمام الكهنة أن مشهد هذه الاحتفالات منعهم من الوقوع في الإسلام[3]، وهو ما يهدف إليه هؤلاء الآباء والرهبان القائمين على هذه الكنائس من خلال تقديم الخدمات الدينية بانتظام للأسرى، وذلك من أجل تثبيتهم على الدين المسيحي خوفا من دخولهم الدين الإسلامي.

كانت المشاهد الاحتفالية متشابهة تقريبا في أغلب الأعياد والمناسبات، وهو ما أكده الأسير البرتغالي ماسكاريناس قائلا: "... في أيام الأعياد كان هناك قداس، ومغنى وخطبة، وصلاة غروب، وموسيقى جيدة جدا..."[4]، وبالفعل نجد أن هذه المشاهد والطقوس تتكرر في أغلب المناسبات الدينية، فمثلا في عيد الفصح وعيد العنصرة كان يقوم الكهنة بالصلاة صباحا باكرا، ومن ثم قول القداس والخطبة التي كانت على أفراح السيدة العذراء، ومن بعدها البدء

-Ellen Friedman -« **the exercise ...**"- op.cit.- p.27.

1 - Dan- op.cit.- p.509.

2 - Mascarenhas -op.cit.- p.71.

3 - Gramaye- op.cit.- p.339.

4 - Mascarenhas - op.cit.- p.71.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

في تقديم القربان المقدس حسب التقاليد المتبعة في البلاد المسيحية[1]، أما في عيد الميلاد فقد كانت الاحتفالات تنطلق من الساعة العاشرة ليلا لتستمر إلى غاية الساعة الثانية بعد منتصف الليل، بحيث يقوم الكهنة بالصلاة وغناء قداس منتصف الليل على صوت موسيقى الأبواق والمزامير[2].

غير أن عيد الفصح تميز عن غيره من الأعياد بجملة من الطقوس والاحتفالات الدينية التي تمتد على مدار أربعين يوما، وتسمى هذه الفترة الزمنية بالصوم الكبير، وقدم لنا الأب مونروي وصفا دقيقا لكل مراحل هذا العيد، وكل الطقوس الممارسة طيلة تلك الأيام باعتبار أنه كان الأب القائم على تسييرها وتقديمها، لتبدأ الطقوس باحتفالات يوم "أربعاء الرماد" الذي يجتمع فيه المسيحيون لتأدية بعض الصلوات والطقوس كذر الرماد، ومن ثم يقوم جميع الأسرى قول القداس الصباحي كل يوم سبت، وعند الغروب القيام بغناء بعض الترنيمات الدينية[3].

لتستمر هذه الطقوس حتى وصول يوم "البشارة" أي البشارة بولادة المسيح عيسى عليه السلام، ويليها "أسبوع الآلام" الذي يبتدئ باحتفالات "أحد الشعانين"، وهو آخر يوم أحد من أيام الصوم الكبير، واحتفالات يوم الأربعاء المقدس، وفي يوم الجمعة القيام بالصلاة، وترديد بعض الأغاني التي تردد أيضا خلال طقوس يوم السبت المسمى "نعمة الشمعة"، لينتهي الصوم الكبير بإحتفالات عيد الفصح أو عيد القيامة الذي يكون يوم الأحد، ليجتمع فيه جميع الأسرى في الصباح الباكر لتأدية القداس الصباحي والخطبة، ومن ثم حمل القربان المقدس حسب التقاليد المسيحية[4]. والملاحظ لعدد هذه المناسبات والطقوس الدينية المتبعة من طرف الآباء والأسرى المسيحيين في الجزائر يستنتج مدى وجود الحرية في ممارسة كل تلك الطقوس الدينية العديدة والمتنوعة.

أعدت خلال تلك الأعياد بعض الوجبات الشهية المكونة أساسا من الدجاج أو اللحم، فمثلا كان يتم إعداد وجبة معدة من الدجاج المقلي، وتقديمها للأسرى خاصة أولئك المرضى

1 - Dan- op.cit.- p.510.

2 -Comelin (F.)- op.cit.- p.136.- L'ABBÉ ORSE- op.cit.- p.183.

3 - Dan- op.cit.- pp.508- 509.

4 - Ibid- p.510.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الموجودين في المستشفى، أما في عيد القديس جان دي ماثا (Juan de Matha) تم تقديم بعض الدجاج للأسرى وللمرضى من أجل الاستمتاع بهذا العيد، ونفس الوجبة كانت تقدم في عيد الفصح أو عيد القيامة[1]، كما كان هؤلاء الأسرى والقساوسة يتحصلون على هدية من طرف الداي متمثلة في عدد من الثيران والأبقار خلال هذه المناسبات، وهو ما لاحظه الأب خمينيث (Ximénez) أثناء تواجده في مدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/18م والذي أشار إلى أن الداي في مدينة الجزائر كان يقدم لأسراه خلال عيد الفصح وفي حفل عيد الميلاد وباقي الأعياد المسيحية الأخرى عددا من الأبقار أو بعض اللحوم الطازجة[2]، وهذا تأكيد على وجود التسامح الديني وحرية ممارسة الطقوس الدينية المسيحية، واحترام مبدأ اختلاف الديانات.

**خاتمة:** في الأخير يمكن القول أن الأسرى المسيحيين تمتعوا ببعض الحريات على عكس ما صورته المصادر الأجنبية من خلال نقل الجانب السلبي من حياة ووضعية الأسرى في الجزائر على أنها حياة مزرية، وتتم معاملتهم بطريقة وحشية، إلا أنهم في نفس الوقت أقروا بطريقة غير مباشرة إلى الحرية التي تمتع بها هؤلاء خاصة في الجانب الديني، والسماح لهم بتأسيس كنائس ومصليات خاصة بهم، ومنحهم الحرية المطلقة في ممارسة طقوسهم الدينية والاحتفال بأعيادهم المتنوعة، وهذا دليل على وجود التسامح الديني في الجزائر حتى وإن وجدت بعض التجاوزات، كما عملت مختلف الهيئات المسيحية على الاهتمام بالجانب الروحي للأسرى، من أجل تثبيتهم على الدين المسيحي خوفا من تحولهم ودخولهم في الدين الإسلامي.

**قائمة المصادر والمراجع**

أولا: العربية

1- أمين معلوف- ليون الإفريقي- تر: عفيف دمشقية- دار الفارابي- لبنان- ط2- 1997.

2- بلقاسم قرباش- "بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م"- مجلة دراسات تاريخية- ع 1- 2013.

3- بلقاسم قرباش -الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات(1671-1830م)- أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة مصطفى اسطمبولي-معسكر-2015-2016.

4- بوعلام صفاح- " الأوضاع الاجتماعية والدينية للأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني"- مجلة الابراهيمي للعلوم الاجتماعية والإنسانية- ع11- ديسمبر 2022.

1- Leila Ould Cadi - op.cit.-pp.206- 207.

2 - Ibid- p.273.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

5- بوعلام صفاح- " الحياة اليومية للأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثما ني" - مجلة الونشريس للدراسات التاريخية- مج2-ع1-2022.

6- جيمس لاندر كاثكارت- مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب- ترجمة: اسماعيل العربي- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1982.

7- رفيق تلي- "السجون في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"- المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية- م 8- ع 3- ديسمبر 2022.

8- سعيود إبراهيم- "جهود الكنيسة البابوية في تحرير الأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال العهد العثماني (مقاربة تاريخية)"- مجلة الدراسات التاريخية- م 17- ع1- 2016.

9- سيمون بفايفر- مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر-تقديم وتعريب أبو العيد دودو-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1974.

10- مجهول- مذكرات خير الدين بربروس- ترجمة محمد دراج- شركة الأصالة- الجزائر- ط1- 2010.

11- نادية مباركي- " سجون مغلقة أم فضاءات مفتوحة على التسامح الديني"- مجلة الحكمة للدراسات التاريخية- ع4- 2014.

12- هابنسترايت ج.أو،- رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ/1732م- ترجمة وتقديم ناصر الدين سعيدوني-دار الغرب الإسلامي- تونس- د.ت.

13- هبي أنطون معد- عيد الفصح المجيد- مطبعة دير المخلص- لبنان- 1937.

ثانيا : الأجنبية

1- Abd El Hadi Ben Mansour- « L'heureuse «captivité » d'un protonotaire apostolique, Jean-Baptiste Gramaye à Alger (1619) »- Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France- N1- 1995.

2- Abla Gheziel-« Captifs et captivité dans la régence d'Alger (xviie- début xixe siècle) »- Cahiers de la Méditerranée- N 87 – 2013.

3- André BERBRUGGER -« Charte des hôpitaux Chrétiens d'Alger, 1694 »- Revue Africaine- N°08- Alger-1949.

4- André BERBRUGGER -« vois et moyens du rachat des captifs chrétiens dans les états Barbaresques »- Revue Africaine- N$^0$ 11- 1867.

5- Carroll Kenneth L.- « America's First Quakers—Where, When, and by Whom? » -Quaker History- vol. 85- N$^0$ 2- 1996.

6- DAPPER Olfert -Description de l'Afrique- Wolfgang -Amsterdam -1686.

7- D'Auvry- Le Miroir de la Charité chrétienne-Ouvrage composé par l'un des Pères Rédempteurs du l'Ordre de Nôtre Dame de la Mercy- AIX- 1663.

**8-** Edward Garrard Marsh- Account of the slavery of friends in the Barbary states: towards the close of the seventeenth century-E. Marsh-London, 1848.

9- Ellen Friedman - « the exercise of religion by spanish captives in north Africa"- in Sixteenth Century Journal,-vol.6- N$^0$ 1- Apr.- 1975.

10- Ellen G. Friedman- «Christian Captives at "Hard Labor" in Algiers- 16th-18th Centuries"- The International Journal of African Historical Studies- Vol. 13- No. 4- 1980.

1- 11- Emmanuel d'Aranda - Relation de la captivité & liberté du sieur Emanuel de Aranda-Chez Jean Momart - A Bruxelles- 1662

12- Felipe Ruan (E.)- « An Early Modern Dialogue with Islam: Antonio de Sosa's Topography of Algiers (1612) by Antonio de Sosa- María Antonia Garcés- Diana de Armas Wilson"- in: Renaissance Quarterly- Vol. 65- No. 1- 2012.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

13- Philips George- the present of tangier in a letter to his grace the lord chancellor of Ireland and one of the lords justices there: to which is added the present state of Algiers-printed for H. Herringman- London-1676.

14- Francis Knight- A relation of seaven yeares slaverie under the Turkes of Argeire-Printed by T. Cotes-London-1640.

15- Fray Diego de Haedo- Topographie et Histoire Générale D'Alger - traduit de l'espagnol par dr. Monnereau et a Berbrugger présentation de Jocelyne dakhlia-IMPRIMÉ À VALLADOLID EN 1612- Alger- 1870.

16- Fray Diego de Haëdo- De la captivité à Alger- trad. par Moliner-Violle- Typographie Adolphe Jourdan- Alger- 1911.

17- François Comelin- voyage pour la rédemption des captifs aux royaumes d'Alger et de Tunis- Louis Anne Sevestre- Paris-1721.

18- Federico Cresti- "la population d'Alger et son evolution Durant l'époque ottomane »- Arabica- N1- 2005.

19- Henri Delmas de Grammont- «études Algériennes.la course-L' esclavage et la rédemption a Alger. deuxième partie : L'esclavage »- Revue Historique- Published By: Presses Universitaires de France--T. 26- 1884

20- Henri Klein- « Bagnes Chrétiens »- Les Feuillets d'El-Djezaïr- volume 3- 1912.

21- Henri Klein- «Les anciens bagnes »- In: Les Feuillets d'El-Djezaïr- hors-série- 1937.

22- Jean- André Peyssonnel - Voyage dans les Régences de Tunis & d'Alger- Vol.01- Libraire de Gide- Paris- 1838

23- Jean-Baptiste Gramaye- journal de Jean-Baptiste Gramaye évêque d'Afrique- Traduit et commenté par : Abd El Hadi Ben Mansour r dans « Alger 16-17 siècle »- les éditions du cerf- paris- 1998.

24- João de Mascarenhas- Esclave à Alger: récit de captivité de João Mascarenhas (1621-1626)- traduite du Portugais par Paul Teyssier- chandeigne- Paris-1999.

25- Joseph Morgan- A Compleat History of the Piratical States of Barbary: Viz. Algiers, Tunis, Tripoli, and Morocco- R. Griffiths- London- 1750.

26- Laugier De Tassy-Histoire du Royaume d'Alger- Chez Henri Du Sauzet- A Amsterdam- 1725.

27- Leila Ould Cadi- Alger, une cité turque au temps de l'esclavage À travers le Journal d'Alger du père Ximénez, 1718-1720- Presses universitaires de la Méditerranée- 2006.

28- Pierre Dan- Histoire de Barbarie et de ses Corsaires- des royaumes et des villes d'Alger- de Tunis- de Salé- & de Tripoly- chez pierre Rocolet- Paris- 1637.

29- Thomas Shaw- Voyage dans la régence d'Alger- ou Description géographique- physique- philologique- etc. de cet état- Traduit de l'anglais par Mac Carthy- CHEZ MARLLN- Paris- 1830.

30- Underhill updike- the Algerine captive or the life and adventures of doctor updithe Underhill, six years aprisoner among the Algerians- Harford printed by peter B. Gleason.co- 1816.

31- Venture de Paradis- Alger au XVIIIe siècle- édité par E. Fagnan- Typographie Adolphe Jourdan- Alger- 1898.

32- William okeley- Eben- Ezer or a small monument of great Mercy appearing in the miraculous deliverance of william okeley- printed for Nat- ponder- London- 1675.